سلسلة البحوث المحكمة (٤)

جهود الشيخ عبد العزيز بن باز في ترسيخ المفاهيم الشرعية للتعايش الحضاري مع غير المسلمين

د. نبيل بن أحمد بلهي






جهود الشيخ عبد العزيز بن باز في ترسيخ المفاهيم الشرعية للتعايش الحضاري مع غير المسلمين

د. نبيل بن أحمد بلهي

أستاذ الحديث وعلومه بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية




أصل هذا البحث، ورقة علمية محكمة قدمت في مؤتمر: (جهود المملكة العربية السعودية في ترسيخ قيم الاعتدال والتعايش الحضاري)، بجامعة القصيم، في جامدى الآخرة ١٤٤١هـ.



Nabil.belhi@gmail.com

١٤٤٥هـ / ٢٠٢٣م

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه الطِّيبين الطَّاهرين، وسلَّم تسليما كثيرا، أمَّا بعد:

فقد قامت الدولة السعودية في أول نشأتها على أسسٍ شرعية سليمة، تَتَّسِمُ بالاعتدال في المواقف والواقعية في التعامل، مع مراعاة البعد الإنساني في التواصل مع الآخر، وذلك بسبب تبنِّي المملكة العربية السعودية المبادئ والقيم الإسلامية السَّمحة، المستقاة من وحي القرآن والسنة، إضافة إلى توجُّهٌ علمائها نحو التحلِّي بالوسطية والاعتدال في خطابهم الشرعي المتعلِّق بالتواصل الإنساني والتعايش الحضاري، وتأصيل ذلك تأصيلا شرعيًّا.

وقد كان الشيخ عبد العزيز ابن باز -رحمه الله- مفتي المملكة العربية السعودية، ورئيس هيئة كبار علمائها، واللجنة الدائمة للإفتاء في عصره، من أشهر علماء هذا العصر الذين يمثِّلون هذا الاتِّجاه المعتدل،

فهو الواجهة العلمية للخطاب الشرعي في المملكة العربية السعودية ، أسهم بسعةِ علمه وبُعْدِ نظره، وحكمته في الدعوة إلى الله، في ترسيخ المفاهيم الشرعية للاعتدال، وقيم التعايش الحضاري مع المخالفين، وذلك من خلال فتاويه وخطاباتِه ورسائِله في نصح المسلمين، إضافة إلى رسائِلِهِ ومكاتباه العامة والخاصَّة، فقد كان يراسل الملوك والرؤساء، وينصح المخالفين بل غير المسلمين، ويحرص على هدايتهم، برسائل يوجهها باسمه أو اسم الهيئة التي يرأسُها.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في انتشار ظاهرة الغلوِّ والجفاء في التعامل مع غير المسلمين عند بعض الشباب، واعتقاد البعض أنَّ هذا التعامل هو منهج علماء أهل السنة والجماعة، واتِّهام البعض الآخر هؤلاء العلماء بالتنظير للعنف وإلغاء الآخر، فيأتي هذا البحث ليجيب عن الإشكال الآتي:

١- ما موقف الخطاب الشرعي السعودي المعاصر من قضية التعايش الحضاري مع غير المسلمين؟

٢- ما هي المفاهيم الشرعية للتعايش الحضاري عند أبرز علماء المملكة العربية السعودية في هذا العصر (الشيخ عبد العزيز بن باز)، وما هي جهوده في ترسيخ تلك المفاهيم قولًا وعملًا ؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى: بيان جهود الشيخ ابن باز -رحمه الله- في ترسيخ قيم التعايش الحضاري في معاملة غير المسلمين، واستخراج النماذج الحيَّة من كتبِهِ وخطاباتِهِ ومواقفِهِ التي تُعْنَى بهذا الجانب، حتَّى نقدِّم للأجيال صورةً واضحةً ونموذجًا مثاليًّا عن الفكرِ الوسطيِّ المُفْعَمِ بقيم الاعتدال، والتواصل الإيجابي مع الآخر؛ والسبب في اختيار الشيخ (عبد العزيز ابن باز) أنَّه عالمٌ كبير، راسخٌ في العلم، معروفٌ ذائعُ الصيْت، محلُّ ثقة عند عموم المسلمين، لِمَا عُرِفَ عنه من العلم والحلم والنزاهة والأخلاق الحسنة، ثم هو يمثِّل الواجهة الدينية للمملكة العربية السعودية لتقلُّدِهِ مناصب سامية في الدولة.

حدود البحث:

يقوم هذا البحث على استقراء تقريرات الشيخِ ابن بازٍ في باب (الولاء والبراء) و(أبواب معاملة غير المسلمين) وأبواب (الأخلاق) من دروسه وشروحه وفتاويه ورسائله وترتيبها ترتيبًا علميًا، ثم بيان التأصيل الشرعي المُتَّزِن لهذه المفاهيم عند الشيخ وأنها وسط (بين الغلوِّ والجفاء ، بين ظلم الآخر والذوبان في حضارته) تلك الوسطية الشرعية التي يحتاجها الشباب اليوم، ويحتاجون قدوةً صالحةً فيها، من شخصية قويَّة كشخصية الشيخ ابن باز -رحمهُ الله-، الذي عاش حياته يقرِّرُ مبادئ العدل والاعتدال.

منهج البحث:

من أجل الوصول إلى الغايات المنشودة لهذا البحث، والخروج بنتائج دقيقة، استخدمتُ (المنهج الاستقرائي)، وذلك في تَتَبُّع مقالات الشيخ المتعلِّقة بالتعايش مع غير المسلمين في مختلَف المصادر، ثم استخدمتُ (المنهجَ التحليليَّ)، في تحليل المادة العلمية وتوزيعها على أقسام البحث ومحاورِهِ، ثم (المنهج الاستنباطي) في استخراج معالم

منهج الشيخ في التعامل الحضاري، وملامح الوسطية والاعتدال فيه.

الدراسات السابقة:

أمَّا عن الدراسات السابقة، فلم أقف في -حدود اطِّلاعي- على دراسة خاصَّة تُعْنَى بهذا الموضوع المهِمِّ، وإنما وقفتُ على دراسات عامَّة حول منهج الشيخ ابن باز في التعامل مع المخالف والدعوة إلى الله، جاء في ثناياها ذكر شيءٍ من أسلوبه في التعامل مع غير المسلمين، من ذلك هذه الكتب والبحوث:

١- الحكمة في دعوة المخالف عند الشيخ عبد العزيز ابن باز، د. محمود بن عبد الهادي آل علي.

٢- منهج الإمام عبد العزيز بن باز- رحمه الله- في الدعوة إلى الله تعالى، محمد بن خالد البداح.

٣- منهج سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز في الردِّ على المخالفين، نايف بن ممدوح آل سعود.

٤- أصول الشيخ عبد العزيز بن باز في الرد على المخالفين، فيصل بن قزار الجاسم.

٥- جهود سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز في تعزيز الأمن الفكري، د. عبد الله بن دجين السهيلي.

والجديد الذي يقدِّمُهُ هذا البحث هو تتبُّع ورصدُ جهود الشيخ ابن باز في ترسيخ المفهوم الشرعي للتعايش الحضاري مع غير المسلمين، وإبراز أهم التطبيقات العملية لهذا التعايش، من خلال آرائه وفتاويه، وعرضها في شكل متناسق، لإبراز الصورة المشرقة للخطاب الشرعي السعودي المعاصر، المتمثل في شخصية الشيخ عبد العزيز بن باز مفتي المملكة العربية السعودية، وهذه الجزئية بالضبط لم أَرَ من تطرَّق لها بتفصيل، أو أفردها ببحثٍ مستقلٍّ.

خطة البحث:

من أجل تحقيق الأغراض والأهداف التي سبق ذكرُهَا، سلكتُ الخطَّة التالية:

المقدمة: أهميَّة الموضوع وأهدافه وخطَّتُه.

توطئة: سِماتُ الخطاب الشرعي السعودي فيما يتعلَّق بالتعايش الحضاري.

المبحث الأول: جهودُ الشيخ ابن باز في ترسيخ مفهوم التعايش الحضاري.

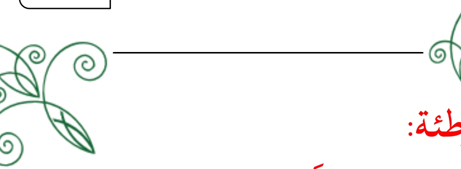
المبحث الثاني: جهود الشيخ ابن باز في ترسيخ مفهوم الرحمة والتراحم الإنساني.

المبحث الثالث: جهود الشيخ ابن باز في ترسيخ مفهوم العدل مع المخالفين.

المبحث الرابع: جهود الشيخ ابن باز في تقرير حرمة الاعتداء على حقوق غير المسلمين.

المبحث الخامس: جهود الشيخ ابن باز في ترسيخ مفهوم الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن.

الخاتمة: نتائج البحث والتوصيات.




توطئة:

سِماتُ الخطاب الشرعيِّ السعوديِّ فيما يتعلَّق بالتعايش الحضاري

التعايش الحضاري: هو تساكنُ وتسالمُ أصحاب الحضارات المختلفة، وإيجاد مساحةٍ مشتركة من الاتفاق والتعاون من أجل ضمان استمرارية الحياة، وتحقيقِ مصالح جميع الأطراف، مع احتفاظ كلِّ طرفٍ بخصوصيَّاته.(١)

أصبح هذا التعايش الحضاري مطلبًا مُلِحًّا في ظِلِّ هذه التغيرات التي طرأَتْ على العالم من اختلاط الأجناس بعضها ببعض، وانفتاح العالم على مصراعَيْهِ في ظِّل هذه العولمة وتطوُّر تقنيات التواصل الاجتماعي؛ فكان من اللازم إيجادُ خطاب شرعيٍّ معاصرٍ يعالج هذا الوضع الجديد في إطار الوحي (القرآن والسنة) يحقِّقُ المقاصد الشرعية بشكل متَّزِنٍ، يجمع بين مصلحة الدِّين ومصلحة الدنيا، ويتَّسِم بالاعتدال بين الغلوِّ والجفاء.

(١) الحوار من أجل التعايش، عبد العزيز التويجري: ص ٧٧- ٧٨.

ولقد اضطَّلع الخطاب الشرعي السعودي بهذه المهمَّة، وتكيَّف مع هذه النوازل المعاصرة، ذلك أن المملكة العربية السعودية تمثِلُ واجهة العالم الإسلامي، فتوجَّهَتْ مؤسسات الدولة وشخصياتها المؤثِّرة إلى نشر خطاب الوسطية والاعتدال عبر المنابر الرسمية وغير الرسمية، وعبر المؤسسات الدينية والعلمية، يقوم على ذلك علماء أجلَّاء على رأسهم الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله- مفتي عام المملكة العربية السعودية، ورئيسُ هيئة كبار علمائها، ورئيسُ اللجنة الدَّائمة للبحوث العلمية والافتاء.

وعلى العموم يمكننا أنْ نحدِّد سمات الخطاب الشرعي السعودي فيما يتعلَّق بالتعايش الحضاري في نقاط:

١- اتخاذ الوحي (الكتاب والسنة) مرجعية لهذا الخطاب المعاصر.

يقول الشيخ ابن باز -رحمه الله-: "إنَّما السبيل إلى إصلاح الناس وإقامتهم على الطريق السوي، هو السبيل الذي درج عليه نبيُّنا عليه

الصلاة والسلام، ودرج عليه صحابته الكرام ثم أتباعهم بإحسانٍ إلى يومنا هذا، وهو العناية بالقرآن العظيم، والعناية بسنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودعوة الناس إليهما والتفقُّه فيهما، ونشرهما بين الناس عن علم وبصيرة". (١)

٢- الحرص على تحقيق المصلحة الدينية والدنيوية، والسعي نحو دفع التعارض بينهما.

يقول الشيخ ابن باز - واصفا الشريعة الإسلامية- : "فيها كلُّ خير فهي جمعتْ خير الدنيا والآخرة لا يجوز أن يُفْصَل دينُنَا عن دنيانا لا دنيانا عن ديننا بل ديننا ودنيانا مرتبطان ارتباطًا وثيقًا في هذه الشريعة". (٢)

٣- التأكيد على عالَمِية الخطاب الشرعي، وعلى عدم انحصاره في البيئة العربية الإسلامية.

فقد بعث الشيخ ابن باز رسالة إلى الملك فيصل- رحمه الله- يحثُّه

(١) مجموع فتاوى ابن باز، الشويعر: ١/ ٢٤٤.

(٢) مجموع فتاوى ابن باز، الشويعر: ٢/ ٢٤٧.

على الدعوة إلى محاسن هذا الدين في المحافل الدولية، فقال: "أنْ تُبَيِّنُوا لهم محاسن الإسلام، وأنَّه دين الحقِّ، وأنَّه الدين الكامل الصالح لكلِّ عصر وأوان، والمشتمل على مصالح الدنيا والآخرة، وأنه دينُ السعادة والفلاح، وأنَّه السبيل الوحيد لإنقاذ البشرية الحائرة التائهة في خضم أمواج الظلم والطغيان، ودياجر الجهل والضلال إلى شاطئ السلامة والأمان، وهو السبيل الوحيد لحلِّ مشاكلها وإفهام الجميع بأنَّ رسالة محمد صلى الله عليه وسلم عامة للناس جميعا".[(١)]

٤- سلوك طريق الوسطية والاعتدال في المواقف والآراء، وترك الغلوِّ والتساهل في معاملة الآخرين. يقول الشيخ ابن باز: "فهذه الشريعة: شريعة التيسير، وشريعة المسامحة، وشريعة الرحمة والإحسان، وشريعة المصلحة الراجحة، وشريعة العناية بكلِّ ما فيه نجاة العباد وسعادتهم وحياتهم الطيبة في الدنيا والآخرة".[(٢)]

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز، الشويعر: ٦/ ٧٣.

(٢) مجموع فتاوى ابن باز، الشويعر: ٢/ ٢٢٨.

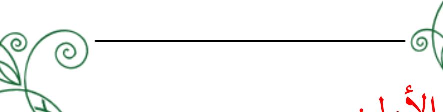
٥- المحافظة على الأصول الشرعية، والاعتزاز بالهوية الإسلامية، ومبدأ الولاء والبراء الشرعيِّ حال الانفتاح على الآخر. يقول الشيخ ابن باز: "الصلح مع اليهود أو غيرهم من الكفرة لا يلزمُ منه مَوَدَّتَهم ولا موالاتهم، بل ذلك يقتضي الأمن بين الطرفين، وكفّ بعضهم عن إيذاء البعض الآخر، وغير ذلك، كالبيع والشراء، وتبادل السفراء.. وغير ذلك من المعاملات التي لا تقتضي مودَّة الكفرة ولا موالاتهم، وقد صالح النبي ﷺ أهل مكَّة، ولم يوجب ذلك محبَّتهم ولا موالاتهم".(١)

٧- الواقعية في التعامل والجمع بين الأصالة والمعاصرة، وخدمة الدين والدنيا، قال الشيخ -رحمه الله-: "من نظر في ما جاءت به الشريعة من رعاية في أحوال العباد أغنيائهم وفقرائهم مُلَّاكهم وعمالهم، حكَّامهم ومحكوميهم أفرادهم وجماعاتهم، قد راعتهم جميعا، وجعلتْ لهم أحكامًا مبنيَّة على المصلحة والعدالة والإنصاف والإحسان والرحمة فهذه الشريعة كلُّها مصالح، كلُّها حِكَمٌ، كلُّها هدى، كلُّها عدلٌ".(٢)

---

(١) حكم الصلح مع اليهود في ضوء الشريعة الإسلامية، ابن باز: ص ١٤.

(٢) مجموع فتاوى ابن باز، الشويعر: ٢/ ٢٤٥.



المبحث الأول:



جهود الشيخ ابن باز في ترسيخ مفهوم التعايش الحضاري.

سبق معنا أن مفهوم التعايش الحضاري هو: تساكن أصحاب الحضارات المختلفة، وإيجاد مساحة مشتركة من الاتفاق، والتعاون من أجل ضمان استمرارية الحياة، وتحقيق مصالح جميع الأطراف، مع احتفاظ كل طرف بخصوصيته.(١)

وقد بيَّن القرآن أنَّ الأصل في الشعوب والقبائل التعارف فقال سبحانه ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. ومن محاسن شريعة الإسلام أنها جاءت لتحصيل المصالح وتكميلها، لذلك جعلت أحكاما تشريعية تتعلَّق بمعاملة غير المسلمين، فخصَّت اليهود والنصارى بمعاملة خاصَّة تليق بإيمانهم بالنبي الذي بُعِثَ فيهم، واليوم

(١) الحوار من أجل التعايش، عبد العزيز التويجري: ص ٧٧- ٧٨.

الآخر، وخصَّت المشركين الآخرين بمعاملة خاصَّة تليق بهم.[١]

ولما كان الاختلاف في الدين ضرورة كونية حدَّد الإسلام بعض المساحات المشتركة في التعامل مع الآخر من أجل تحقيق المصالح ودفع المشقَّة عن المسلمين، وضمان استمرارية الحياة على كثرةِ تعقيداتها، خاصَّة في عصرنا هذا الذي كثُرَتْ فيه وسائل التواصل الاجتماعي، وشاع اختلاط المسلمين بغيرهم في الأسفار والأعمال، فيحتاج الناس إلى بيان أمر هذه القضية الملِّحة بيانًا واضحًا.

وقد حرص الشيخ ابن باز على ترسيخ المفهوم الشرعي للتعايش الحضاري مع غير المسلمين من خلال مواقفه وفتاويه، **فسلك مسلك الوسطية حين تمسك بالقيم الإسلامية وحافظ عليها، وفي الوقت نفسه انفتح على الآخر من أجل تحصيل المصلحة المشتركة التي لا تتعارض مع النُّصوص الشرعية الواضحة**، وبيَّن أنَّ البِرَّ والإحسان لا يعني موالاة غير المسلمين، كما نصَّ عليه العلماء قبله، يقول القرافي: "وبالجملة

(١) انظر: الحوار في الإسلام، ياسر الشمالي: ص ١٩٣.

فَبِرُّهم والإحسان إليهم مأمور به ووُدُّهم وتوليِّهم منهي عنه، فهما قاعدتان إحداهما محرمة والأخرى مأمور بها". [١]

وهذا بخلاف بعض المفكرين المعاصرين الذين توسعوا في تفسير مفهوم التعايش الحضاري وجعلوه أصلا تُؤَوَّلُ النصوص الشرعية الظاهرة من أجله [٢]، وفي المقابل غلا بعضُ المتحمِّسين وحرَّم كلَّ تعامل مع غير المسلمين وأساء الظنَّ بكلِّ علاقة معهم، في حين وُفِّقَ الشيخ ابن باز لسلوك مسلك الوسطية في ذلك.

فقد أنكر الشيخ على الصحيفة التي نشرت خبر الاحتفال بالأخوة بين المسلمين والمسيحين، وبيَّن وجه الحقِّ وهو أنَّ الأخوة الدينية غير ممكنة وهذا من تميُّز المسلم عن غيره، وأنَّ والولاء والبراء من صميم عقيدة الإسلام ولا مجال للتساهل في هذه القضية، ثم بيَّن في آخر كلامه التوجيه الصحيح لهذا التعايش الذي لا يصادم أحكام الشريعة فقال:

(١) الفروق الفقهية، القرافي: ٣/ ١٦.

(٢) انظر، رد الشيخ ابن باز على شيخ الأزهر (جاد الحق) في قضية (السلام العالمي) في مجموع الفتاوى: ٦/ ١٩١.

"ولو قيل أنَّ هذا الاحتفال يعتبرُ تأكيدًا لعلاقات التعاون بين أبناء الديانتين فيما ينفع الجميع، لكان ذلك وجيهًا ولا محذور فيه".[(١)]

ويمكننا -من خلال استقراء تراث الشيخ ومواقفه- إحصاء أوجه متنوعة من التعامل الحضاري مع غير المسلمين، تشمل نواحٍ متعددة من أمور الحياة، تظهر لنا من خلالها القيم الحضارية التي كان يؤمنُ بها الشيخ، ويدعوا إليها علما وعملا، فنجد الشيخَ ابنَ بازٍ يقرِّرُ أنَّ العلاقات مع غير المسلمين ليست صِنْفًا واحدًا بل تأخذ تلك العلاقة أشكالًا متنوِّعة ، تُرَاعَى فيها القيم الإنسانية والمصلحة الشرعية، من ذلك أنه سُئِلَ: "كيف يحدِّدُ المسلم علاقته بالآخرين من غير المسلمين من حيث المعاملة، ومن حيث الاشتراك في حفلات التوديع لبعض الزملاء غير المسلمين؟ [فأجاب]: هذا أمرٌ فيه تفصيل; فإنَّ الكافر له حالات مع المسلم، غير حالته مع الكفَّار، وغير حالة المسلم مع إخوانه المسلمين، والمقصود أن المسلم لا يبدأ الكافر بالسلام، ولا مانع بل يجبُ أن يردَّ

(١) مجموع فتاوى ابن باز، الشويعر: ٢/ ١٧٧.

عليه إذا سلَّم، يقول: وعليكم. ولا مانع أن يسأله عن أولاده وعن حاله، فلا بأس في ذلك، ولا بأس أن يأكل معه إذا دعتْ الحاجة إلى ذلك، ولا بأس أن يجيب دعوته كما أجاب النبي عليه الصلاة والسلام دعوة اليهود وأكل من طعامهم، إذا رأى المصلحة الشرعية في ذلك".[١]

وهكذا بيَّن الشيخ قيمة حسن الجوار مع غير المسلمين وأنه ينبغي على المسلم مراعاة هذا الحقِّ العظيم الذي أكثر النبيُّ من الوصاية به، وهو وجه بارز من وجوه التعايش الحضاري في ظِّل الإسلام العظيم، يقول الشيخ ابن باز: "فهذا من الحقوق المشروعة بين المسلم والكافر، ومن ذلك حسن الجوار، فإذا كان جارًا لك تحسن إليه، ولا تؤذِهِ في جواره، وتتصدَّقُ عليه إن كان فقيرًا، أو تهدي إليه إن كان غنِيًّا وتنصحُ له فيما ينفعه؛ لأنَّ هذا مما يسبِّبُ رغبته في الإسلام ودخوله فيه، ولأنّ الجار له حقٌّ عظيم لقول النبي ﷺ: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ،

(١) فتاوى نور على الدرب لابن باز، عبد الله الطيار و محمد الموسى: ١/ ٢٨٩.

حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ لَيُوَرِّثَنَّهُ». [١] متفق عليه، ولعموم قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]". [٢]

ومن وجوه المعاملة الحضارية لغير المسلمين التي قرَّرها الشيخ اتباعًا لسنَّة النبي ﷺ وهديه، ومشيًّا على طريقة الفقهاء الراسخين في العلم، تقريرُه جوازَ القيام لجنازة غير المسلم[٣] وجواز تعزية أهله بالألفاظ التي لا تخالف أحكام الشريعة وتحقِّقُ المقصود من المواساة، يقول الشيخ ابن باز: "وليس للمسلم مشاركتهم في احتفالاتهم أو أعيادهم، لكن لا بأس أن يعزِّيهم في ميِّتهم إذا رأى المصلحة الشرعية في ذلك، بأن يقول: جَبَرَ الله مصيبتك أو أحسن لك الخلْفَ بخير، وما

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب: الوصاة بالجار. ٨/ ١٠.برقم (٦٠١٥) ومسلم، كتاب البر والصلة، باب: الوصية بالجار والإحسان إليه. ٤/ ٢٠٢٥. برقم (٢٦٢٤).

(٢) فتاوى نور على الدرب لابن باز، عبد الله الطيار و محمد الموسى: ١/ ٢٩٠- ٢٩١.

(٣) رحمة النبي الكريم ﷺ بالكفار، خليل إبراهيم العزامي: ص ١٥٢.

أشبهه من الكلام الطَّيب، ولا يقول غفر الله له، ولا يقول رحمه الله إذا كان كافرا أي: لا يدعو للميت وإنما يدعو للحيِّ بالهداية وبالعوض الصالح ونحو ذلك".[١]

وسُئِلَ الشيخ: "هل يشرع القيام لجنازة الكافر؟ [فأجاب]: نعم يشرع القيام لكلِّ جنازة لعموم قوله عليه الصلاة والسلام: «إِذَا رَأَيْتُمُ الجَنَازَةَ، فَقُومُوا»[٢]، وجاء في بعض الروايات: «قالوا: يا رسول الله إنها جنازة يهودي فقال: أَلَيْسَتْ نَفْسًا»[٣]، وفي لفظ: «إِنَّمَا قُمْنَا لِلْمَلَائِكَةِ»[٤]

(١) مجموع فتاوى ابن باز: ٤/ ٢٦٧. وانظر: فتاوى اللجنة الدائمة -المجموعة الثانية- برئاسة ابن باز: ٧/ ٤١١.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب: القيام للجنازة. ٢/ ٨٤. برقم (١٣٠٧) ومسلم، كتاب الجنائز، باب: القيام للجنازة. ٢/ ٦٥٩. برقم (٩٥٨).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز/ باب: من قام لجنازة يهودي. ٢/ ٨٥. برقم (١٣١٢) ومسلم، كتاب الجنائز، باب: القيام للجنازة. ٢/ ٦٦١. برقم (٩٦١).

(٤) أخرجه النسائي في السنن، كتاب الجنازة، باب: الرخصة في ترك القيام. ٤/ ٤٧. (١٩٢٩). من حديث أنس بن مالك، وهو حديث صحيح ، قال النووي في الخلاصة (٢/ ١٠٠٧): رواه النسائي بإسناد صحيح على شرط مسلم.

وفي لفظ: «إِنَّ لِلْمَوْتِ لفَزَعًا»(١)".(٢)

ومن وجوه التعامل المشروع مع غير المسلمين عند الشيخ، البيع والشراء ونحوها من العقود، فقد كان النبي ﷺ يبيع ويشتري من أهل الكتاب والمشركين ويتعامل معهم بصدقٍ وبيان، ولا يجدُ في ذلك حرجًا، إلا أن يكون التعامل في أمرٍ محرَّم نصَّتْ الشريعة على حرمته. يقول الشيخ: "لا مانع من معاملته في البيع والشراء والتأجير ونحو ذلك، فقد صحَّ عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أنَّه اشترى من الكفَّار عُبَّادِ الأوثان واشترى من اليهود وهذه معاملة، وتوفي عليه الصلاة والسلام ودرعهُ مرهونةٌ عند يهوديٍّ في طعام لأهله عليه الصلاة والسلام".(٣)

(١) أخرجه ابن ماجة في السنن، أبواب الجنائز، باب: ما جاء في القيام للجنائز. ٢/ ٤٩٤. (١٥٤٣). بإسناد حسن، وحسنه الوادعي في الصحيح المسند ما ليس في الصحيحين ٢/ ٣٣٨.

(٢) مجموع فتاوى ابن باز: ١٣/ ١٨٨- ١٨٩.

(٣) مجموع فتاوى ابن باز: ٤/ ٢٦٦. وانظر: فتاوى نور على الدرب لابن باز، عبد الله الطيار و محمد الموسى: ١/ ٢٩٠.

وهكذا الشراكة مع غير المسلمين التي تعود بالنفع على الطرفين لا حرج فيها عند الشيخ، ما لم تكن هذه الشراكة في أمرٍ محرَّمٍ شرعًا(١)، يقول الشيخ ابن باز: "تجوز الشركة بين المسلم والكافر فيما أباحه الله".(٢) ويقول كذلك:" إذا كان التاجر النصرانيُّ أو غيره يتاجر بموادٍّ محرَّمة، ويتعامل معاملات محرَّمة، فإنها لا تجوز مشاركته، ولا استثمار لأموال عنده، وأما إذا كان يتعامل بموادٍ مباحة ومعاملات مباحة، لا بأس بمشاركته واستثمار الأموال عنده بجزء مشاع من الربح إن حصل ربح".(٣)

(١) ينظر، إرشاد أولي الألباب إلى ما صح من معاملة أهل الكتاب، جمال إسماعيل: ص ١٣٩- ١٤٠.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة- المجموعة الأولى- برئاسة ابن باز: ١٤ / ٢٨٦. وانظر فتاوى نور على الدرب لابن باز، عبد الله الطيار و محمد الموسى: ١/ ٢٩٤.

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة- المجموعة الأولى- برئاسة ابن باز: ١٤ / ٢٨٨. وانظر، الجامع في فقه ابن باز، أحمد بن بدر الدين: ص ٧١٦.

وفي مجال العلاقات الأسرية سار الشيخ على مقتضى الوحيين في تجويز زواج المسلم من الكتابية المحصنة؛ لأنَّ الله تعالى أباح لهم ذلك، بعكس زواج الكتابي من المسلمة؛ لخشية الضرر على المسلمة في دينها[١]، يقو الشيخ ابن باز: "إن كان الزوج مسلما وهي كتابية محصنة (يهودية أو نصرانية) فلا بأس باختلاف الدين، لا بأس أن يتزوَّج الرجل المسلم الكتابية وهي المحصنة من اليهود والنصارى؛ لأنَّ الله أَذِنَ في هذا سبحانه وتعالى في قوله جلَّ وعلا: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾[المائدة: ٠٥]. فإذا خطب المسلم كتابية محصنة (يعني معروفة بالإحصان غير مسافحة غير بغي معروفة بأنها حافظة فرجها ليست من البغايا وهنَّ الزواني) فإذا

(١) انظر، الاختيارات الفقهية للشيخ ابن باز في العبادات والمعاملات، خالد بن سعود العجمي: ص ٤٨٥- ٤٨٦

خطبها وتزوجها وهي كتابية يهودية أو نصرانية محصنة فلا بأس بذلك". (١)

وفي مجال العلاقات الدولية وشؤون السلم والحرب، يرى الشيخ إمكانية الصلح والمهادنة المطلقة والمؤقتة مع غير المسلمين، وذلك حسب المصلحة التي يراها وُلَّاة أمر المسلمين، وهذا من مرونة الشريعة التي هي وجه من وجوه محاسنها، يقول الشيخ ابن باز: "تجوز الهدنة مع الأعداء مطلقة ومؤقتة، إذا رأى ولي الأمر المصلحة في ذلك؛ لقول الله سبحانه: ﴿**وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾[**الأنفال**: ٦١] ولأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم فعلهما جميعا، كما صالح أهل مكة على ترك الحرب عشر سنين، يأمن فيها الناس، ويكفُّ بعضهم عن بعض، وصالح كثيرا من قبائل العرب صلحًا مطلقًا، فلما فتح الله عليه مكة نبذ إليهم عهودهم، وأجلى من لا عهد له

(١) فتاوى نور على الدرب لابن باز، عبد الله الطيار و محمد الموسى: ١/ ٢٨٩، ومجموع فتاوى ابن باز: ٢٨/ ١٠٩.

أربعة أشهر، كما في قول الله سبحانه: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ الآية [التوبة: ١ – ٢]. وبعث صلى الله عليه وسلم المنادين بذلك عام تسعٍ من الهجرة بعد الفتح مع الصديق لما حجَّ رضي الله عنه؛ ولأنَّ الحاجة والمصلحة الإسلامية قد تدعو إلى الهدنة المطلقة ثم قطعِهَا عند زوال الحاجة، كما فعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، وقد بسط العلامة ابن القيم – رحمه الله – القول في ذلك في كتابه (أحكام أهل الذمَّة)، واختار ذلك شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية وجماعة من أهل العلم".(١)

وهكذا المعاملة الحضارية في الإسلام لا تقتصر على الوفاء بحقوق الدنيا فقط، بل الأهمُّ من ذلك النصيحة في الدِّين، وإرادة الخير لغير المسلمين في الآخرة، وبذلُ البِّر والإحسان من أجل ذلك، فإنَّ أعظم هديَّة يقدِّمُها المسلم إلى غير المسلم أن يرشده إلى طريق الخلاص في الآخرة، يقول الشيخ ابن باز: "إنَّ واجب المسلم بالنسبة إلى غير

(١) حكم الصلح مع اليهود في ضوء الشريعة الإسلامية، ابن باز: ص ٤– ٥.

المسلم أمور متعددة: أولًا، الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ أن يدعوهُ إلى الله، ويبيِّن له حقيقة الإسلام حيث أمكنه ذلك، وحيث كانت لديه البصيرة؛ لأنَّ هذا أعظمُ إحسانٍ وأكبر إحسان يهديه إلى مواطنه وإلى من اجتمع به من اليهود أو النصارى أو غيرهم من المشركين، لقول النبي ﷺ: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ».(١) وقوله عليه الصلاة والسلام لعليٍّ -رضي الله عنه- لما بعثه إلى خيبر وأمره أن يدعو اليهود إلى الإسلام قال: «فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ».(٢) وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا».(٣)

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب: فضل إعانة الغازي في سبيل الله. ٣/ ١٥٠٦. برقم (١٨٩٣).

(٢) أخرجه البخاري، كاب أصحاب النبي ﷺ، باب: مناقب علي بن أبي طالب. ٥/ ١٨. برقم (٢٩٤٢). ومسلم، كتاب الفضائل، باب: من فضائل علي بن أبي طالب. ٤/ ١٨٧. برقم (٢٤٠٦).

(٣) أخرجه مسلم، كاب العلم، باب: من سنَّ سنة حسنة. ٤/ ٢٠٦٠. برقم (٢٦٧٤).

فدعوتُه إلى الله وتبليغُه الإسلام ونصيحته في ذلك، هذا من أهمِّ المهمَّات ومن أفضل القربات". (١)

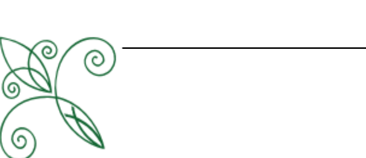
وللشيخ ابن باز تطبيقات عملية لهذا التعايش الحضاري والتعامل الراقي مع غير المسلمين، فلا يَظُنَّنَّ الظَّانُّ أن الشيخ يقرِّرُ أشياء لا تطبَّقُ في الواقع، أو أنه يفعل ذلك لتلميعِ صورة الإسلام والحقيقة غير ذلك، فهذهِ قصَّة ذُكِرَت في ترجمته تبيِّن واقعية هذا التعايش، وهي: ما ذكره معالي الشيخ راشد بن صالح بن خنين "أنَّ سماحته -رحمه الله- وبعض طلابه كانوا يوماً في نزهة في البَّر في إحدى الرياض المزهرة [عندما كان قاضياً في الدلم]، وكانت الأرض نديَّة من أثر الأمطار، فغرزت السيارة التي تقلُّهم في الطِّين، فتعطَّلت وتوقَّفت عن الحركة، فبعد برهة من الزمن وهم في حيرة من أمرهم، إذ مرَّت بهم سيارة يقودها رجل نصراني، فأوقف سيارته، ثم أصلح سيارتهم وسحبها بسيارته وأخرجها من الطِّين، فساروا بسيارتهم، وبعد قليل التفتوا خلفهم فإذا

(١) مجموع فتاوى ابن باز: ٤/ ٢٦٦.

سيارة ذلك الرجل النصراني الذي ساعدهم قد غرزت في الطين، فاعترض عليه بعضُ طلَّابه محتجين بأنه كافر، فردَّ عليهم الشيخ -رحمه الله- بأنه قد صنع لهم معروفاً فلا بُدَّ من مكافئتِهِ ولو كان غير مسلم، فعادوا له فأخرجوه من الطِّين". [١]

قلتُ: هذا تطبيق عمليٌّ من الشيخ لمعنى البِّر والإحسان وحسن التعايش مع غير المسلمين، الذي لا ينافي عقيدة الولاء والبراء، ويقدِّمُ صورةً طيِّبة عن حسن المعاملة، ويترك انطباعًا حسنًا عن دين الإسلام.

(١) ابن باز في الدلم قاضياً ومعلماً، عبد العزيز البراك: ص ٩٧.



المبحث الثاني:

جهود الشيخ ابن باز في ترسيخ مفهوم الرحمة والتراحم الإنساني.



تعدُّ الرحمة في الإسلام قيمة دينية عليا، ومبدأً إسلاميا عامًا في التعامل، فدين الإسلام جاء رحمة للعالمين، والغرض منه إخراج الناس من الظلمات إلى النُّور، ومن ضِيق الدنيا إلى سعة الآخرة، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] فهو ﷺ رحمة لجميع البشرية دون استثناء(١)، ومبدأ التعامل في دين الإسلام هو التراحم مع الغير في موضع الرحمة، بِغَضِّ النظر عن توجهاته، قال ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي

(١) انظر: رحمة النبي الكريم ﷺ بالكفار، خليل العزامي: ص ١٤. التعامل مع غير المسلمين، عبد الله الطريقي: ص ١٣.

السَّمَاءِ».(١) وقال ﷺ: «مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ»(٢) قال ابن بطَّال في شرح الحديث: "في هذه الأحاديث الحضُّ على استعمال الرحمة للخلق كلِّهم كافرِهم ومؤمنهم ولجميع البهائم والرفق بها".(٣)

وقد رَحِمَ النبيُّ ﷺ قومه على شركهم وإعراضهم حين جاءه مَلَكُ الجبال يستأذنه في أن يُطْبِقَ الأخشبين على القوم الذين كذَّبوه فقال: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا».(٤)

وعلى هذا النهج سار الشيخ عبد العزيز بن باز في خطابه الشرعيِّ

(١) أخرجه الترمذي في السنن، أبواب البر والصلة، باب: ما جاء في رحمة المسلمين. ٤/ ٣٢٣. برقم (١٩٢٤) وأبو داود في السنن، كاب الأدب، باب: في الرحمة. ٧/ ٢٩٨. برقم (٤٩٤١) من حديث عبد الله بن عمرو. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله. ٨/ ٠٧. برقم (٥٩٩٧) ومسلم، كتاب الفضائل، باب رحمة النبي ﷺ الصبيان. ٤/ ١٨٠٨. برقم (٢٣١٩).

(٣) شرح صحيح البخاري، ابن بطال: ٩/ ٢٢٠.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم آمين. ٤/ ١١٥. برقم (٣٢٣١) ومسلم، كتاب: الجهاد والسير، باب: ما لقي النبي ﷺ من الأذى. ٣/ ١٤١٨.برقم (١٧٩٥).

المعاصر مع المخالفين، كان حريصًا على إيصال الخير إلى الغير، وكان رحيمًا مريدًا للخير لمن عاداه وخالفه، وكان يقول: "فالإسلام دين الرحمة وشريعة الإحسان ومنهاج الحياة المتكامل والطريق الموصلة إلى الله ودار كرامته". (١)

وكانت معاني الرحمة بغير المسلمين وإرادة الخير لهم، حاضرةً في خطابات الشيخ، امتثالًا لأمر الله تعالى برحمة المدعوِّين، واللين في دعوتهم ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ**﴾[آل عمران: ١٥٩]، يقول في إحدى مقالاته: "إنَّ دين الإسلام الحنيف قد أكمله الله وما من شأن من شؤون الدنيا والآخرة إلا وفي هذا الدين له حكم وبيان واضح جليٌّ...إنَّ دين الإسلام يربط المخلوق بخالقه برباط متين، كما يقيم أفضل علاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان قائمة على المحبَّة والترابط والتسامح والتعاون على البِّر والتقوى". (٢)

(١) مجموع الفتاوى، ابن باز: ٢٣/ ٧٥.

(٢) مجلة البحوث الإسلامية، ابن باز: العدد (٦٠) : ص ١٠.

ومن مظاهر رحمته بالمخالفين -وغير المسلمين- حرصه على هدايتهم إلى دين الحقِّ؛ لأنَّ تلك الهداية هي الرحمة الحقيقية لهم في الدنيا والآخرة، ومن تأمَّل في وعيد الله سبحانه للكافرين في الآخرة عَلِمَ عِلْمَ اليقين أن أعظم رحمة نقدِّمها لهم، هي أن نرغِّبَهم في دين الحقِّ وأن نحرص على هدايتهم بالأسلوب الحسن، فقد سُئِلَ الشيخ : ما الواجب على المسلم تجاه غير المسلم سواء كان ذمِّيا في بلاد المسلمين أو كان في بلاده والمسلم يسكن في بلاد ذلك الشخص غير المسلم؟

فكان من جوابه: "إنَّ واجب المسلم بالنسبة إلى غير المسلم أمور متعددة منها: أولا: الدعوة إلى الله عزَّ وجل، وهي أن يدعوه إلى الله ويبيِّن له حقيقة الإسلام حيثُ أمكنه ذلك وحيث كانت لديه البصيرة؛ لأنَّ هذا أعظم **وأكبر إحسانٍ يهديه إلى مواطنه** وإلى من اجتمع به من اليهود أو النصارى أو غيرهم من المشركين لقول النبي صلى الله عليه

وسلم: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»(١)...فدعوته إلى الله وتبليغه الإسلام ونصيحته في ذلك من أهمِّ المهمَّات ومن أفضل القربات".(٢)

وهكذا نلمس عناية الشيخ بإيصال الخير إلى البشرية جمعاء، حين يصفُ حالها من الشقاء ويقترح عليها ما فيه نجاتها وصلاحُ عاجلِ أمرها وآجله، بأسلوب فيه شفقة ورحمة لهذه البشرية(٣)، قال -رحمه الله-: "وقد بدأت البشرية تتلفتُ يمنةً ويسرة علَّها تجد منهجا صالحا ينقذها من الهاوية التي تردَّتْ فيها جميع شئون حياتها، والإسلام وحده هو القادر على إنقاذ البشرية من تلك المهالك، وستكتشف البشرية -بإذن الله- تلك الحقيقة إنْ عاجلًا أو آجلًا".(٤)

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب: فضل إعانة الغازي في سبيل الله ٣/ ١٥٠٦. برقم (١٨٩٣).

(٢) مجموع الفتاوى، ابن باز: ٤/ ٢٦٦.

(٣) انظر: منهج الشيخ عبد العزيز بن باز في الدعوة إلى الله، خالد البداح: ص ٣٩١.

(٤) مجموع الفتاوى، ابن باز: ٦/ ٢٢٧.

ومن معالم التراحم والتواصل الإنساني -المنضبط بضابط الشرع الحنيف- في خطاب الشيخ، مواساة غير المسلمين في مصائبهم، والدعاء لهم بما يخفِّفُ عنهم مصيبة الموت عند فقدان الأقارب -فإنَّ للموت فزعا- وإن الإنسان ليفزع قلبُه عند حدوث حادث الموت مهما كانت ديانته، وهذا مدخَلٌ عظيم من مداخل التواصل مع الآخرين، فيما يستوون فيه وهو: الموت الذي لا يستثني أحدًا. فقد سُئِلَ الشيخ ابن باز عن تعزية غير المسلمين عند موت أحد أقاربهم، فأجاب: "الكافر إذا مات فلا بأس أن نقول: إنَّا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله، ولو كان من غير أقربائك؛ لأنَّ كلَّ الناس إليه راجعون، وكلُّ الناس ملك لله سبحانه وتعالى فلا بأس بهذا...فالحاصل أنَّ الكافر إذا مات، لا بأس أن نقول: إنَّا لله وإنا إليه راجعون، ولا بأس أن يقول لك غيرك: أعظم الله أجرك فيه، وأحسن عزاءك فيه; لأنَّه قد يكون لا مصلحة في حياته، وقد يكون في حياته يحسن إليك وينفعك، فلا بأس لكن لا يدعى له، ولا يستغفر له،

ولا يتصدَّق عنه إذا مات كافرا".[(١)]

وفي جواب الشيخ تلمس مراعاة الضوابط الشرعية في مواساة غير المسلم، فلم يتوسَّع في تجويز الدعاء لميتهم والاستغفار لهم؛ لأن القرآن صريح في المنع من هذا، فعلى غير المسلمين أن يتفهَّمُوا هذا الأمر وأن الاختلاف في الدين يترتَّبُ عليه الاختلاف في الأحكام الشرعية، ولا ينقص ذلك من إنسانية دين الإسلام شيء، فلكلِّ شريعة خصائصها، واحترام تلك الخصائص أمرٌ واجب.

ومن الدلائل الظاهرة البيِّنة على الاعتدال في خطاب الشيخ ابن باز مع غير المسلمين، وتبنِّيه التوجه الإسلامي الإنساني المنضبط بضوابط الشريعة، افتاؤه بجواز التبرع بالدم لإنقاد حياة غير المسلمين، وهنا يظهر معلم آخر من معالم التراحم الإنساني في خطاب الشيخ، فهذا الدم الذي أجراه ربُّ العالمين في جسم الإنسان، التَّبَرُّعُ به قد ينقذ حياة إنسانٍ آخر مِمَّنْ خلق الله وإن خالفك في المعتقد، وإنقاذ حياة الآخرين

(١) فتاوى نور على الدرب لابن باز، عبد الله الطيار و محمد الموسى: ١/ ٢٩٢.

والمحافظة على النفس البشرية من الهلاك مطلب شرعي، فقد سُئِلَ الشيخ عن هذه النازلة المعاصرة وهي مدى مشروعية التبرع بالدم لإنقاذ حياة شخصٍ غير مسلم أوشك على الهلاك، فأجاب: "لا أعلم مانعًا من ذلك؛ لأنَّ الله تعالى يقول جلَّ وعلا في كتابه العظيم: ﴿**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ**﴾ [**الممتحنة**: ٨]، فأخبر سبحانه أنه لا ينهانا عن الكفار الذين لم يقاتلونا ولم يخرجونا من ديارنا أن نبرَّهم ونحسن إليهم، والمضطَّر في حاجة شديدة إلى الإسعاف، وقد جاءت أمُّ أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنها إلى بنتها؛ وهي كافرة، في المدينة في وقت الهدنة بين النبي ﷺ وأهل مكة تسألها الصِّلة، فاستفتتْ أسماء النبي ﷺ ذلك فأفتاها أن تصلها، وقال: «صِلِي أُمَّكِ»(١) وهي كافرة. فإذا اضطر المعاهد أو الكافر المستأمن الذي ليس بيننا وبينه حرب، إذا

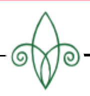
(١) أخرجه البخاري، كتاب الهبة، باب: الهدية للمشركين. ٣/ ١٦٤. برقم (٢٦٢٠) ومسلم، كتاب الزكاة، باب: فضل الصدقة والنفقة على الأقربين. ٢/ ٦٩٢. برقم (١٠٠٣).

اضطر إلى ذلك فلا بأس بالصدقة عليه من الدَّم، كما لو اضطر إلى الميتة، وأنت مأجور في ذلك; لأنه لا حرج عليك أن تسعف من اضطر إلى الصدقة".[(١)]

وقد أثمر منهج الشيخ ابن باز المفعم بمعاني الرحمة والتراحم وحبِّ الخير لجميع الناس، فتأثَّر به من قرأ كلامه من غير المسلمين ودخل بعضهم في الإسلام بسبب ذلك، يقول الشيخ بدر المشاري: "أذكر أن الشيخ قُرِئَتْ عليه رسالة من امرأة في الفلبين ترجمتْ للشيخ تقول فيها: كنتُ نصرانية واعتنقت الإسلام، وأسلمت عائلتي بعد الله تعالى، ثم بعد أن قرأت كتابا لسماحتكم. فتأثَّر رحمه الله وبكى ".[(٢)]

وفي بكاء الشيخ هنا إشارة إلى رِقَّة قلبه ومحبته الخير لبني الإنسان، فهو يفرح إذا فتح عليهم باب الحقِّ والهداية ويتأثَّر لذلك أشد التأثُّر لذلك يبكي.

(١) فتاوى نور على الدرب لابن باز، عبد الله الطيار و محمد الموسى: ١/ ٢٩٢- ٢٩٣.
(٢) مواقف مضيئة في حياة الإمام عبد العزيز بن باز، حمود المطر : ص ١٥.




المبحث الثالث:

جهود الشيخ ابن باز في ترسيخ مفهوم العدل مع المخالفين.

العـدل قيمـة عظيمـة في ديـن الإسـلام ينبغـي مراعاتهـا في الأقـوال والأفعال، فبالعدل قامتْ السموات والأرض، وهـو مطلـوب علـى كـلِّ حـال مـع جميـع النـاس بغـضِّ النظـر عـن انتمـائهم ومـدى قـربهم مـن الشخص، لذلك أمر الله بالعدل في الأقوال فقال: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ [الأنعام: ١٥٢] والعدل أساس التقوى فـلا تـتمُّ تقـوى الله حتى يعدل المسلم مع المؤالف والمخالف، بل حتى يعدلَ مع العدوِّ اللَّدود، قال سبحانه: ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٠٨] قال القرطبي: "ودَلَّت الآية أيضا على أنَّ كفر الكافر لا يمنع من العدل عليه".[١]

وكـان النبـي ﷺ يتحـرَّى العـدل في أقوالـه وأحكامـه مـع المسـلمين

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٦/ ١١٠.

وغير المسلمين، لذلك غضب من ذي الخويصرة حين قال :إنَّك لم تعدل، وقال له: «وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ».(١)

ويقول الله سبحانه: ﴿**لا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾[الممتحنة: ٨] قال الطبري: "عنى بذلك لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدِّين من جميع أصناف الملل والأديان أن تبرُّوهم وتصلوهم وتقسطوا إليهم...وقوله: ﴿**إن الله يحب المقسطين**﴾ يقول: إن الله يحبُّ المنصفين الذين ينصفون الناس ويعطونهم الحقَّ والعدل من أنفسهم، فيبرُّون من بَرَّهم، ويحسنون إلى من أحسن إليهم".(٢)

وانطلاقا من هذه القاعدة الشرعية المتينة -التي تعدُّ من محاسن الإسلام- كانتْ مواقف الشيخ ابن باز من المخالفين تَتَّسِمُ بالعدل

(١) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام. ٤/ ٢٠٠ برقم: (٣٦١٠) ومسلم، كتاب الزكاة، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم. ٢/ ٧٤٤. برقم: (١٠٦٤).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري: ٢٢/ ٥٧٣.

والانصاف في الأحكام، والبعد عن الظلم والشَّطَط في المعاملة؛ لأنَّ صاحبَ الحقِّ مطالب بالتبرؤ من المخالفة وليس الاعتداء على المخالف[١]، "إنَّ منهج الإمام -رحمه الله- قائم على الاعتدال والانصاف في كلِّ شيء، فلا يغلو و لا يجفو، بل هو عوانٌ بين ذلك وهذه الوسطية الرائعة هي التي ميَّزتهُ عن كثير من علماء الأمة".[٢]

وقد قرَّر الشيخ ابن باز هذا المبدأ انطلاقا من القرآن الكريم فقال: "ثم إنَّ الله سبحانه مع أمره للمؤمنين بمعادات الكافرين أوجب على المسلمين العدل في أعدائهم فقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**﴾ [المائدة: ٠٨]. فأمرَ سبحانه المؤمنين أن يقوموا بالعدل مع جميع خصومهم، ونهاهم أن يحملهم بُغْضُ قومٍ على ترك العدل فيهم وأخبر -عزَّ وجلَّ- أنَّ العدل مع العدوِّ والصديق هو أقرب

(١) ينظر، التعامل مع غير المسلمين، عبد الله الطريقي: ص ٤١.

(٢) الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز، عبد الرحمن بن يوسف الرحمة: ص ٥١٠.

للتقوى. والمعنى: أنَّ العدل في جميع الناس من الأولياء والأعداء هو أقرب إلى اتِّقاء غضب الله وعذابه".[١]

فلا مجال في الإسلام للانقياد للهوى وترك العدل بدعوى البراءة من المخالف، فليس ذلك من تقوى الله، قال الشيخ: "وفي هاتين الآيتين أمرُ المؤمنين أن يقوموا لله بالقسط، وأن يشهدوا له بذلك في حقِّ العدوِّ والصديق، والقريب والبعيد، وتحذيرهم من أن يحملهم الهوى أو البغضاء على خلاف العدل، وأوضح سبحانه أنّ العدل هو أقرب للتقوى".[٢]

وقد حافظ الشيخ ابن باز على خطاب العدل والاعتدال مع المخالفين في زمن برزتْ فيه تيارات الغلوِّ والتطرُّف[٣]، تدعو إلى ترك مبدأ العدل في التعامل مع غير المسلمين، منساقين وراء عواطفَ جيَّاشة

(١) مجموع الفتاوى، ابن باز: ٢/ ١٨٢.

(٢) مجموع الفتاوى، ابن باز: ٢/ ١٩٩.

(٣) انظر: الحكمة في دعوة المخالف عن الشيخ ابن باز، محمود بن عبد الهادي آل علي : ص ١٦٣ فما بعدها

غير مضبوطة بقواعد الشرع، والعواطف -وإن كانت دينية- قد تفسد من حيث يظنُّ أصحابُها أنها تصلح إذا لم تنضبط بالعلم الشرعي، فعالج الشيخ هذا الانحراف الفكريَّ مستندًا إلى أدلَّة القرآن والسنَّة، مبينًا للشباب المتحمِّس الوسطية الحقَّة التي جاء بها الشرع في الموقف من المخالف بين الغلوِّ والجفاء.

ولما اطلَّع الشيخ على مقولة انتشرتْ في عصرهِ مفادها أنَّ العدل مع المخالفين ليس بواجب، فَنَّدَها بشدَّة وبيَّن مذهب الحقِّ في المسألة، فقد سُئِلَ: "البعض يقول: إنَّ العدلَ والإنصاف مع المخالفين ليس من الواجبات الشرعية، فما رأي سماحتكم في هذا القول؟. [فأجاب]: العدل والإنصاف واجبٌ مع العدوِّ ومع الصديق، قال الله جلَّ وعلا: ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[الحجرات: ٠٩] يعني: العادلين، وقال الله جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾[النحل: ٩٠] فهو يأمر بالعدل والإحسان سبحانه وتعالى مع كلِّ واحد، مع العدو ومع الصديق، **مع المؤمن ومع الكافر**، لا بُدَّ من العدل، ولا يجوز له أن يظلم

ويتعدَّى، بل يجب أن يعدل، فإذا دعا الكفار وأصرُّوا على الكفر قاتلهم، وأما أن يقاتلهم قبل الدعوة فلا، هذا ظلم، لا بد أن يعلِّمهم، وأن يدعوهم إلى الله أولا، فإذا أصرُّوا قاتلهم وجاهدهم في سبيل الله مع القدرة على ذلك".[١]

وهكذا يواصل الشيخ بيان التطبيقات العملية لمفهوم العدل مع المخالف عند التحاكم، ويقرر أنه يجب على القاضي أن يحكم بالقسط ولو كان لغير المسلم على حساب المسلم؛ لأنَّ العبرة بثبوت الحقِّ وليس بالانتماء، وهذه في الحقيقة قيمةٌ حضارية وإنسانية تذعِنُ لها العقول السليمة والفطر القويمة، يقول الشيخ ابن باز: "وهكذا إذا ترافع إليه الخصمان يحكم بينهم بالعدل، وإن كان أحدهما مسلما والآخر كافرا، لا بُدَّ أن يحكم بالعدل والبيِّنة الشرعية ولو كان المحكوم له كافرا، فإذا كان مثلًا مسلم مع كافر يدَّعي الكافر عليه أنَّه أخذ سيارته، أو أنَّه أخذ كذا وكذا وعنده البيِّنة الشرعية، فإن القاضي يحكم له على

(١) مجموع فتاوى ابن باز، الشويعر: ٨/ ١٨٣.

المسلم. الواجب: العدل، والله يقول: ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩٠] ، ويقول النبي ﷺ: «الْمُقْسِطُونَ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا»(١) ".(٢)

وعلى هذا النسق يمشي الشيخ ابن باز في فتاويه المتعلِّقة بمعاملة غير المسلمين، مبناها على القسط الذي أمر به القرآن، فقد سأله أحدهم قائلا: "يوجد لديَّ عاملان أحدهما مسلم والثاني كافر، وهما متكافئان في العمل، ومطلوب مِنِّي أن أقوِّمَ عملهما، فهل يجوز أن أغمط الكافر حقَّه بسبب ديانته؟ [فأجاب]: **الواجب العدل بينهما**...".(٣)

ومن معالم العدل مع المخالفين -عند الشيخ- ذكره لمحاسن وخصائل بعض أهل الكتاب الذي يخشون الله ولا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا، وهو بذلك ينحو منحى القرآن الذي أثني على طائفة من أهل

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل. ٣/ ١٤٥٨. برقم (١٨٢٧).

(٢) مجموع الفتاوى، ابن باز: ٨/ ١٨٣- ١٨٤.

(٣) مجموع الفتاوى، ابن باز: ٤/ ٣٨٠.

الكتاب، وليس يعني هذا تصحيح مذهبهم بقدر ما هو إنصاف واجب وشهادة حقٍّ، الغرض منها دعوتهم إلى الحقِّ العظيم والأصل الجسيم الذي جاءت به جميع الرسل ألا وهو: عبادة الله وحده لا شريك له، وخشيته والخوف منه.(١)

يقول الشيخ ابن باز: "وقال سبحانه: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣]. ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[آل عمران: ١١٤]. وهذا نموذج من أعمالهم الطَّيبة، وهذه الصفات الحميدة ذكرها الله سبحانه عنهم؛ لنقتدي بهم فيها ولنسلك هذا المسلك ونتأسَّى بأهل الخير وهكذا في آخر سورة آل عمران يقول جل وعلا: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾

(١) انظر، منهج الشيخ ابن باز في الدعوة إلى الله، خالد البداح: ص ٣٨٦.

[الفتح: ١٣] فهذه الخصال الحميدة التي أخذ بها خيار أهل الكتاب ومن هداهم الله من علمائهم، إيمانٌ بالله، خشوعٌ وخضوع لله وطاعةٌ لله سبحانه، وذلٌّ بين يديه سبحانه وتعالى، ثم مع ذلك لا يشترون بآيات الله ثمنًا قليلًا ولا يجحدون الحقَّ ولا يكتمونه كما فعل علماؤهم الضَّالون، كتموا سيرة محمد عليه الصلاة والسلام، وكتموا كثيرا من الحقِّ من أجل حظِّهم العاجل وما أرادوا من متاع الدنيا".(١)

إنَّ المتأمِّل في هذه النماذج من الأقوال والمواقف للشيخ ابن باز في مسألة العدل مع المخالف يجد أنه ينطلق من كتاب الله الذي أمر بالقسط مع غير المسلمين، قال سبحانه: ﴿**لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ [الممتحنة: ٨]، ويجد كذلك أنه أدرك جيدا معنى البِّر والإقساط والفرق بينه وبين الوُّد والموالاة؛ لأنَّ كثيرا من الكتَّاب المعاصرين خلط بين المعنيين، فالولاء لله ولرسوله والبِّر والإقساط

(١) مجموع الفتاوى، ابن باز: ٤/ ٨٤.

للجميع، وهذه وسطية إسلامية بين غلو الغالين وتساهل المتساهلين.[١]

(١) ينظر، إرشاد أولي الألباب إلى ما صح من معاملة أهل الكتاب، جمال إسماعيل: ص ١١-١٢.



المبحث الرابع:
جهود الشيخ ابن باز في تقرير حرمة الاعتداء على حقوق غير المسلمين

تشريعات الإسلام قائمة على احترام العهود والمواثيق، وتحريم الاعتداء على المخالفين والغدر بغير المسلمين؛ لأنَّ دين الإسلام قوي بذاته وبمبادئه إذا فُتِحَتْ له الأبواب دخل في قلوب العباد واستحسنوه، ولا حاجة للإسلام في مثل هذه الأعمال التي تشوِّهُ سمعته وتكدِّر صفائه.[1]

وقد قرَّر القرآن الكريم مبدأ الوفاء بالعهود فقال: ﴿**وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولا**﴾ [**الإسراء: ٣٤**] وأمر المسلمين بالتزام المواثيق إلا أن يخافوا خيانة من الطرف الآخر، فالواجب عليهم أن لا يغدروا بل يعلنوا للطرف الآخر أن العهد قد انتهى العمل به حتى يكونوا سواء في العلم بانتهاء ذلك الميثاق، قال سبحانه: ﴿**وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً**

(١) انظر، التعامل مع غير المسلمين، عبد الله الطريقي: ص ١٧٣.

فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ﴾[الأنفال: ٥٨] ونهاهم عن الاعتداء بغير وجه حقٍّ؛ لأن الله لا يحب ذلك، قال سبحانه: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ﴾[البقرة: ١٩٠].

وذكر العلماء قديما في كتبهم وجوهًا كثيرة لحفظ حقوق غير المسلمين (أهل الذِّمَّة) في المجتمع الإسلامي، يقول القرافي: "من اعتدى عليهم ولو بكلمة سوءٍ أو غيبة في عرض أحدهم أو نوع من أنواع الأذية، أو أعان على ذلك فقد ضيَّع ذِمَّة الله تعالى وذِمَّة رسوله صلى الله عليه وسلم...وصونُ أموالهم وعيالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم ومصالحهم وأن يعانوا على دفع الظلم عنهم وإيصالهم لجميع حقوقهم وكل خير يحسن من الأعلى مع الأسفل أن يفعله ومن العدو أن يفعله مع عدوه فإنَّ ذلك من مكارم الأخلاق".[١]

وهذا كلُّه يبرز قيمة الوفاء عند المسلمين، وبعدهم عن أخلاق

---

(١) الفروق، القرافي: ٣/ ٢٧.

الغدر والخيانة والتلاعب بالعهود والاعتداء على الحقوق، قال ﷺ: «إِنِّي لَا أَخِيسُ بِالْعَهْدِ وَلَا أَحْبِسُ الْبُرُدَ».(١) وظلَّ النبي ﷺ محافظا على عهوده ومواثيقه مجتنبًا الغدر والخيانة مع خصومه حتى لاقى الله تعالى، ولم يُسَجِّلْ عليه التاريخ أنه غدر بأعدائه أو خانهم في موضعِ الائتمان، وهذه في الحقيقة قيمة خلقية وحضارية نُفَاخِرُ بها الأمم الأخرى التي لا تراعي العهود وتاريخها مليء بالغدر والخيانة.

وعلى هذه الطريقة مشى الشيخ عبد العزيز بن باز في التعامل مع غير المسلمين، حيث قَرَّرَ مبدأ حرمة نكث العهود مع غير المسلمين، وشدَّد على حرمة الاعتداء عليهم إذا دخلوا بلاد المسلمين معاهدين ومستأمنين، وهذا مظهر من مظاهر التعايش الحضاري في منهج الشيخ -رحمه الله-، ففي الوقت الذي غَلَتْ فيه بعض الجماعات المتطرِّفة، وجاوزت الحدود الشرعية، وقامت بالاعتداء على الأجانب غير

(١) أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الجهاد، باب: الإمام يكون بينه وبين العدو عهد. ٤/ ٣٨٧. برقم (٢٧٥٨) من حديث أبي رافع مولى رسول ﷺ. وصحَّحهُ الألباني في السلسلة الصحيحة: ٢/ ٣١٥.

المسلمين، وأباحت الغدر بهم بدعوى نصرة الدِّين، تصدَّى لهم الشيخ ابن باز ووقفَ وقفةً الحقِّ والوسطية وبيَّن ضَلال هذه الجماعات وأنهم يشوِّهون صورة الإسلام من حيث لا يعلمون.

ففي مجال حفظ حقوقِ غير المسلمين وتحريم ظلمهم، بيَّن الشيخ عصمة دمائهم وأموالهم إذا لم يكونوا من المحاربين، ودخلوا بلاد المسلمين بعهدٍ وأمان فلا يجوز الاعتداء على حقوقهم، قال -رحمه الله- متحدثًا عن معاملة غير المسلم: "لا يظلمه لا في نفس ولا في مال ولا في عرض، إذا كان ذمِّيًا أو مستأمنًا أو معاهدًا، فإنَّه يؤدِّي إليه حقَّه، فلا يظلمه في ماله لا بالسرقة ولا بالخيانة ولا بالغشِّ، ولا يظلمه في البدن بالضرب ولا بالقتل؛ لأنَّ كونه معاهدًا أو ذمِّيًا في البلد، أو مستأمَنًا هذا كلُّه يعصمُهُ".[1]

وبيَّن الشيخ أنَّ إعطاء حقوق غير المسلمين هو في حدِّ ذاته رافدٌ من

(١) فتاوى نور على الدرب لابن باز، عبد الله الطيار و محمد الموسى: ١/ ٢٩٠. وانظر، مجموع فتاوى ابن باز، الشويعر: ٤/ ٢٦٦.

روافد الدعوة إلى دين الحقِّ؛ لأن النفس مجبولة على حبِّ من أحسن إليها والإصغاء إليه، فقرَّر الشيخ أنَّه يجبُ "العناية بدعوتهم إلى الله وتبصيرهم بدينه بالأساليب الحسنة وإيضاح محاسن الإسلام لهم، وإنصافهم وإعطائهم حقوقهم التي لهم على المسلمين لعلهم يقبلون الحقَّ ويخرجون مِمَّا هم فيه من الباطل إلى دين الحقِّ والهدى والسعادة".[1]

وهكذا فتاوى الشيخ للأقليات المسلمة التي تعيش في الغرب كانت مبينةً دائما على الاعتدال وتحريم الظلم والاعتداء على حقوق غير المسلمين، وأنَّ الاختلاف في العقيدة لا يبيح الغدر والخيانة، قال الشيخ: "لا يجوز التعامل بالرِّبا مع الكفرة ولا مع المسلمين، ولا يجوز أخذ أموالهم غدرًا، إلا في حال الحرب، إذا كانوا في حال الحرب تؤخذ أموالهم ونساؤهم، عند الحرب والجهاد، أمَّا وهم مستأمنون هم وإيَّاهم، فلا يأخذوا منهم شيئا، ولا يخونونهم إلا في حال الحرب، إذا

(١) فتاوى ابن باز، الشويعر: ٢/ ٤٥٠.

تميَّز الكفار عن المسلمين وقامت بينهم الحرب، لهم مخالفتهم وأخذ أموالهم، ونسائهم وذراريهم، أمَّا مثل حالتهم الآن، فلا يجوز له أن يخونه ولا يأخذ ماله بغير حقٍّ". (١)

والحقيقة أن هذه المسألة وقع الخلط فيها من بعض المتحمِّسين، ففرْقٌ بين البراء من العقائد المخالفة وبين استحلال الاعتداء على المخالف، فالأول جاءت به الشريعة والثاني نَهَتْ عنه نهيًا مؤكَّدا، يقول الشيخ ابن باز: "وليس معنى بغضهم وعداوتهم أن تظلمهم أو تتعدَّى عليهم إذا لم يكونوا محاربين، وإنما معناه أن تبغضهم في قلبك وتعاديهم بقلبك ولا يكونوا أصحابًا لك، لكن لا تؤذيهم ولا تضرُّهم ولا تظلمهم فإذا سلَّمُوا تردُّ عليهم السلام وتنصحهم وتوجههم إلى الخير كما قال الله عز وجل: ﴿**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ**﴾[العنكبوت: ٤٦]". (٢)

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز، الشويعر: ٢٨/ ١٣٠.

(٢) مجموع فتاوى ابن باز، الشويعر: ٥/ ٢٤٦.

وأما فيما يخصُّ حفظ حقوق غير المسلمين الوافدين على الدول الإسلامية للسياحة أو التجارة، فقد بيَّن الشيخ أن من دخل البلاد الإسلامية بعقد استئمان أو معاهدة، فإنَّ الواجب احترام هذه العهود ومعاملة الوافدين بالحسنى، فإِنَّ أخطأوا فليس لنا أنْ نعاقبهم، بل المرجع في ذلك إلى وُلَّاة الأمور يفعلون ما يرونه الأصلح، فقد سئل الشيخ: "ما حكم الاعتداء على الأجانب السيَّاح والزوَّار في البلاد الإسلامية؟ [فأجاب]: هذا لا يجوز، الاعتداء لا يجوز على أيٍّ أحدٍ، سواء كانوا سيَّاحًا أو عمَّالًا؛ لأنهم مستأمنون، دخلوا بالأمان، فلا يجوز الاعتداء عليهم، ولكنْ تناصح الدولة حتى تمنعهم مما لا ينبغي إظهاره، أما الاعتداء عليهم فلا يجوز، أما أفراد الناس فليس لهم أن يقتلوهم أو يضربوهم أو يؤذوهم، بل عليهم أن يرفعوا الأمر إلى ولاة الأمور؛ لأنَّ التعدِّي عليهم تعدٍّ على أناس قد دخلوا بالأمان فلا يجوز التعدِّي عليهم، ولكن يرفع أمرهم إلى من يستطيع منع دخولهم أو منعهم من ذلك المنكر الظاهر. أمَّا نصيحتهم ودعوتهم إلى الإسلام أو إلى ترك

المنكر إن كانوا مسلمين فهذا مطلوب، وتعمُّهُ الأدلة الشرعية، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله".(١)

وهكذا وقف الشيخ بالمرصاد لتلك الأعمال المشينة التي شهدتها بعض البلدان الإسلامية من الاعتداء على السيَّاح والوافدين، وبيَّن براءة الشريعة الإسلامية السمحة من هذه الاعتداءات التي لا يُقِرُّهَا عقلٌ ولا دينٌ، ولا تتوافق مع مبادئ الشرع، فقد سئل الشيخ: "يظنُّ البعض من الشباب أنَّ مجافاة الكفَّار – ممن هم مستوطنون في البلاد الإسلامية أو من الوافدين إليها – من الشرع، ولذلك البعض يستحلُّ قتلهم وسلبهم إذا رأوا منهم ما ينكرون. [فأجاب]: لا يجوز قتل الكافر المستوطِن أو الوافد المستأمَن الذي أدخلته الدولة آمنًا، ولا قتل العصاة ولا التعدِّي عليهم، بل يُحالون فيما يحدث منهم من المنكرات للحكم الشرعي، وفيما تراه المحاكم الشرعية الكفاية".(٢)

(١) مجموع فتاوى ابن باز، الشويعر: ٢٨/ ١٣٠.

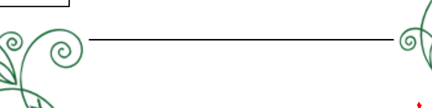
(٢) المرجع السابق: ٨/ ٢٠٧.

ولما استفحلَتْ ظاهرة الاعتداء على السفارات الأجنبية واختطاف الأجانب، تصدَّى الشيخ ابن باز لهذا الفكر الغالي، وبيَّن عدم جواز مثل هذه الأفعال التي وصفها بالجرائم التي تجلب الشرَّ للعالم أجمع، يقول الشيخ ابن باز: "فمن المعلوم لدى كلِّ من له أدنى بصيرة أنَّ اختطاف الطائرات، وبني الإنسان من السفارات وغيرها، من الجرائم العظيمة العالمية، التي يترتَّبُ عليها من المفاسد الكبيرة، والأضرار العظيمة، وإضاقة الأبرياء وإيذائهم ما لا يحصيه إلا الله، كما أن من المعلوم أن هذه الجرائم لا يخصُّ ضررها وشرها دولة دون دولة، ولا طائفة دون طائفة، بل يعمُّ العالم كلَّه".[١]

هذه الفتاوى والمواقف من الشيخ ابن باز فيما يخصُّ حقوق غير المسلمين، تدلُّ دلالة قاطعة على محافظته على قيم الاعتدال، والمبادئ الشرعية للتعايش الحضاري مع غير المسلمين، فعلى الشباب اليوم أن يقتدوا بهذا العالم النحرير، الذي جمع بين الأصالة والمعاصرة، وبين

(١) مجموع فتاوى ابن باز، الشويعر: ١/ ٢٧٢.

الفقه في الدين والفقه في الواقع، وأن يتخذوه قدوةً في تعاملهم الحضاري مع غير المسلمين، حتى يحصِّلُوا خير الدنيا والدين.



المبحث الخامس:

جهود الشيخ ابن باز في ترسيخ مفهوم الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن

أصلُ كلمة الحوار في لغة العرب هو: المراجعة في الكلام[١]، ومنه أُخِذَ المعنى الاصطلاحي المعاصر للحوار بكونه: تبادل الأفكار والآراء مع الآخرين ومراجعتها، أمَّا المجادلة، فمأخوذة من الجدل: وهو شدَّة الحِجاج من أجل إحقاق الحقِّ ورجوعِ الخصم.[٢]

والأصل في دين الإسلام أنَّه دين حوار وإقناع، والحوار قيمة حضارية عند المسلمين لأنَّهم لا يخشوْن على الحقائق التي عندهم -إذا تَطَارحت الأفكار ووقع الجدال- من السقوط؛ لذلك كان القرآن حجةً عقليةً تأسرُ القلوب، وحاور القرآن الكريم أتباع الأديان ودعاهم إلى كلمة سواء، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: ٢/ ١١٧.

(٢) انظر: الحوار في الإسلام، ياسر الشمالي: ص ٢٢.

دُونِ اللهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[المائدة: ١١١] ، وأمر بمجادَلَتِهم بالتي هي أحسن، فقال سبحانه:﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[النحل: ١٢٥]، يقول ابن باز في تفسير هذه الآية: "والمعنى: ادعُ الناس إلى سبيل ربِّك، فالضمير في جادلهم يعني المدعوين سواء كانوا مسلمين أو كفَّارا، ومثلها قوله تعالى: ﴿**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[العنكبوت: ٤٦] وأهل الكتاب: هم الكفرة من اليهود والنصارى، فلا يجوز جدالهم إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم، فالظَّالم يعاملُ بما يستحقُّه". (١)

فليس الحوار ضعفًا واستسلامًا كما يَظُنُّهُ البعض بل هو: "قيمة من قيم الحضارة الإسلامية، المستندة أساسًا إلى مبادئ الدِّين الحنيف وتعاليمه السمحاء، وهو موقف فكري وحالة وجدانية وهو تعبير عن أبرز سمات الشخصية الإسلامية السويَّة، وهي سِمة التسامح، لا بمعنى

(١) مجموع فتاوى ابن باز، الشويعر: ١/ ٥٥.

التخاذل والضعف بوازع من الهزيمة النفسية، ولكن بمعنى الترفُّع عن الصغائر، والتسامي على الضغائن والتجافي عن الهوى والباطل".[(١)]

وفي هذا العصر الذي تطوَّرَت فيه وسائل التواصل بين المجتمعات، وانفتحَتْ الشعوب بعضها على بعض، و تلاقحت الأفكار في العالم الافتراضي، ظهرت الحاجة الماسَّة إلى ثقافة الحوار مع الآخر ومحاولة فهم نفسية المخالف، وإيجاد أرضية مشتركة للانطلاق نحو صنع الحضارة وتحصيل المصلحة، من أجل هذا سَعَتْ المملكة العربية السعودية إلى مَدِّ جسور التواصل مع الثقافات الأخرى، وإيجاد نوع مقاربة معها في حدود ما أباحته الشريعة من وجوه التواصل الإنساني.

ويعدُّ الشيخ عبد العزيز بن باز من العلماء المعاصرين الذين رسَّخُوا المفاهيم الشرعية الصحيحة للحوار والمجادلة بالتي هي أحسن[(٢)]، وذلك لسعة علمه وتشبُّعِهِ من الوحيين، إضافة إلى تجربته الدعوية

(١) الحوار من أجل التعايش، عبد العزيز التويجري: ص ١٤.

(٢) انظر، جهود الشيخ ابن باز في تعزيز الأمن الفكري، عبد الله السهلي: ص ٨٥ فما بعدها.

الطويلة والمناصب الدينية الحسَّاسة التي تقلَّدها، جعلته منفتحًا على هذه القضايا الحضارية المهمَّة، فقد سُئِل الشيخ عن مشروعية الحوار، فقيل له: "ما رأيكم في الحوار الإسلامي المسيحي الآن؟ [فأجاب] إذا دَعَتْ له الحاجة فلا مانع منه، إذا كان المحاوِرُ عنده علمٌ وبصيرةٌ بالكتاب والسنَّة فلا مانع من الحوار؛ لإظهار الحقِّ والدعوة إليه وكشف الباطل".[1]

وكان -رحمه الله- يؤكِّد دائما على أهمية الحوار مع المخالف ومجادلته بالتي هي أحسن، مع مراعاة الرفق والبعد عن التعصُّب والظلم، واحترام الرأي الآخر، والحرص على الوصول إلى الحقِّ، كما أمرت بذلك شريعة الإسلام[2]، يقول الشيخ: "فالمشروع للمؤمن الجدال بالتي هي أحسن مع المسلمين والكفار مع بغضهم في الله للآية الكريمة السابقة ولقوله سبحانه: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ**

(١) مجموع فتاوى ابن باز، الشويعر: ٨/ ٤٢.

(٢) انظر، منهج الشيخ ابن باز في الرد على المخالفين، نايف بن ممدوح بن عبد العزيز آل سعود: ص ١٠

وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[النحل: ١٢٥]، فلا يتعدَّى عليهم ولا يظلمهم مع بغضهم ومعاداتهم في الله ويشرع له أن يدعوهم إلى الله، ويعلمهم ويرشدهم إلى الحقِّ لعلَّ الله يهديهم بأسبابه إلى طريق الصواب، ولا مانع من الصدقة عليهم والإحسان إليهم لقول الله عز وجل: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[الممتحنة: ٨]. "(١)

وكان الشيخ يؤكِّد على أهمية حسن القصد في مجادلة غير المسلمين، وهو إرادة الخير لهم وليس مجرد الغلبة والظهور، فالمسلمون أعلم الناس بالحِّق وأرحمهم بالخلق(٢)، يقول الشيخ -رحمه الله- "فالمقصود والهدف إخراج الناس من الظلمات إلى النُّور، وإرشادهم إلى الحقِّ حتى يأخذوا به، وينجو من النار، وينجو من غضب

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز، الشويعر: ٥/ ٢٤٧.

(٢) انظر: الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه ، خالد القاسم : ص ١٥٩.

الله، وإخراج الكافر من ظلمة الكفر إلى النور والهدى، وإخراج الجاهل من ظلمة الجهل إلى نور العلم، والعاصي من ظلمة المعصية إلى نور الطاعة، هذا هو المقصود من الدعوة كما قال جلَّ وعلا: ﴿**اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾[البقرة: ٢٥٧]".[١]

وبيَّن الشيخ أهمية الرفق واللين في الحوار واختيار أحسن الكلمات لاستمالة الطرف الآخر، وحذَّر من العنف اللفظي وأسلوب التوبيخ الذي يزيد المعاند إصرارًا[٢]، قال -رحمه الله-: " فإذا كان المدعوُّ عنده بعض الشُّبَه، فعليك أيها الداعي أن توضح الحقَّ بدلائله، وأن تزيح الشبهة بالدلائل التي تزيحها، حتى يبقى معك المدعوُّ على أمر بيِّنٍ واضح، وليكن هذا بالتي هي أحسن؛ لأنَّ العنف والشدَّة قد يضيِّعَان الفائدة، وقد يقسو قلبُ المدعو بسبب ذلك ويحصل له به الإعراض والتكبُّر عن القبول، فعليك بالرفق والجدال بالتي هي أحسن حتَّى يُقْبَل

(١) الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، ابن باز، (ضمن كتاب: الممتاز من رسائل ابن باز): ص ٧٢٢- ٧٢٣.

(٢) انظر، أصول الشيخ ابن باز في الرد على المخالفين، فيصل الجاسم: ص ١٦٦- ١٧٠.

منك الحقُّ، وحتى لا تضيع الفرصة، وتذهب الفائدة سدى، بسبب العنف والشدَّة، مادام صاحبك يريد منك الحقَّ، ولم يظلم ولم يتعدَّ، أما عند الظلم والتعدِّي فله نهج آخر، وسبيل آخر، كما قال جل وعلا: ﴿**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ**﴾ [العنكبوت: ٤٦] فإذا كان أهل الكتاب يجادلون بالتي هي أحسن، فالمسلمون من باب أولى أن يجادلوا بالتي هي أحسن". (١)

وأكدَّ الشيخ على وجوب الرفق بالمخالف مطلقًا مسلما كان أو كافرًا، خاصَّة إذا كان ذا هيئة في قومه حتى يتشجَّع على قبول الحقِّ، يقول ابن باز:" فالواجب على الداعي إلى الله أن يتحمَّل، وأن يستعمل الأسلوب الحسن الرفيق اللِّين في دعوته للمسلمين والكفَّار جميعا، لا بُدَّ من الرفق مع المسلم ومع الكافر ومع الأمير وغيره، ولا سيِّما الأمراء والرؤساء والأعيان، فإنهم يحتاجون إلى المزيد من الرفق والأسلوب

(١) مجموع فتاوى ابن باز، الشويعر: ٣/ ١٠٩.

الحسن لعلهم يقبلون الحقَّ، ويؤثِرُونه على ما سواه".[١]

وقال في موضع آخر: "يقول جلَّ وعلا في كتابه العظيم: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[النحل: ١٢٥]، فالحكمة هي العلم، قال الله قال رسوله، والموعظة الحسنة الترغيب والترهيب تبيِّن ما في طاعة الله من الخير العظيم، وما في الدخول في الإسلام من الخير العظيم وما عليه إذا استكبر ولم يقبل الحقَّ إلى غير ذلك، أمَّا الجدال بالتي هي أحسن فمعناه بيان الأدلَّة من غير عنفٍ عند وجود الشبهة لإزالتها وكشفها، فعند المجادلة تجادل بالتي هي أحسن وتصبر وتتحمَّل كما في الآية الأخرى يقول سبحانه: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾[العنكبوت: ٤٦]...لكن ما دُمْتَ تستطيع الجدال بالتي هي أحسن وهو يتقبل أو ينصت أو يتكلَّم بأمر لا يعدُّ فيه ظالما ولا معتدِّيا، فاصبر وتحمَّل بالموعظة والأدلة الشرعية والجدال الحسن، يقول الله سبحانه:

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز، الشويعر: ٦/ ٤١٧.

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[البقرة: ٨٣]". (١)

ومن مقوِّمات نجاح الحوار التي نبَّه عليها الشيخ، معرفةُ حال المحاوَر أو الطرف الآخر، ومجادلته انطلاقا من أصوله التي يؤمِنُ بها، ففرق بين مجادلة (أهل الكتاب) ومجادلة (الملحدين)؛ لأنَّ أهل الكتاب يؤمنون بالغيبيات بينما الملاحدة لا يؤمنون إلا بحجَّة العقل(٢)، يقول الشيخ -رحمه الله- عن أهل الكتاب: "وهم يحتاجون إلى التعليم والتوجيه، بالأدلَّة الشرعية حتى يدخلوا في الحقِّ، وعندهم أصل الإيمان بالآخرة، وأصل الإيمان بوجود الله، وإن كان إيمانا فاسدًا مشوَّشًا لا ينفعهم في الآخرة؛ لأنَّ اليهود اعتقدوا عزيرًا ابن الله، والنصارى اعتقدوا المسيح ابن الله، ثالث ثلاثة، وعندهم أيضا غلوٌّ في أحبارهم ورهبانهم، كلُّهم عندهم غلو في أحبارهم ورهبانهم، وعندهم أنواع من التحريف والشرِّ، لكنَّهم أسهل في الدعوة، من دعوة الملحد الشيوعي، أمَّا الملحد

(١) مجموع فتاوى ابن باز، الشويعر: ٦/ ٤١٧.

(٢) انظر: منهج الشيخ عبد العزيز ابن باز في الدعوة إلى الله، محمد البداح: ص ٤١١.

فيحتاج لإقامة الأدلة على وجود الله، وعلى صحَّة ما جاء به الرسل **من العقل** الذي يفهمه هو، فدعوتهم تحتاج إلى مزيد من البصيرة والحكمة والتجارب، وبيان ما فطر الله عليه العباد حتى يخاطبه بمقتضى الفطرة والعقل".[(١)]

وقد طبَّق الشيخ ابن باز هذا الأمر عمليًا، فكان يستعمل أسلوب الحوار بالتي هي أحسن، ويخلِصُ في النصح لغير المسلمين، ويحرص على هدايتهم، وفي القصَّة التي ذكرها ابنه أحمد مع الطبيب النصراني خيرُ دليل، قال الشيخ أحمد بن عبد العزيز بن باز: "عندما كان يراجع المستشفى للعلاج كان هناك من ضمن الفريق الطبِّي أخصائي علاج طبيعي نصراني من بلجيكا، ولاحظ الشيخ أنَّ لسانه ينطق العربية بصورة أعجمية فسأل عنه فأخبرناه عن بلده وديانته، فدعاه الشيخ وأجلسه وعرض عليه الدخول في الإسلام، وتحدَّث له عن مزايا الدين الإسلامي، وألَّح عليه وقبول الحقِّ، فما كان من الرجل إلا أن وعد

(١) فتاوى نور على الدرب لابن باز، الشويعر: ١/ ٣٠١- ٣٠٢.

الشيخ بالقراءة الجادَّة عن الإسلام والتعرُّف عليه أكثر ليكون دخوله فيه عن قناعة وعلم". [١]

(١) مواقف مضيئة من حياة الشيخ عبد العزيز بن باز، حمود المطر: ص ٨٤.



الخاتمة:

نتائج البحث والتوصيات.

الحمد لله في البدءِ والختام والصلاة والسلام على خير الأنام، نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه الكرام، أمَّا بعد: فبعد هذا العرض الموجز عن أبرز الجهود التي بذلها الشيخ عبد العزيز بن باز مفتي المملكة العربية السعودية ورئيس هيئة كبار علمائها، في ترسيخ المفاهيم الشرعية للتعايش الحضاري، يمكننا أن نلخِّص نتائج البحث في ما يلي:

١- بذل الشيخ عبد العزيز بن باز جهودا معتبرة في ترسيخ مفاهيم التعايش الحضاري تقريرا وتطبيقا، يظهر ذلك من خلال مواقفه وفتاويه التي تتَّسم بالاعتدال والوسطية في الطرح، ومراعاة مقاصد الشريعة في بناء المواقف، فكان الشيخ أنموذجًا مثاليا للعالم المتمكِّن في العلم المعالج لقضايا عصره بحكمة وروِيَّة.

٢- مفهوم التعايش الحضاري عن الشيخ عبد العزيز بن باز منضبط بضوابط الشرع، فليس التعايش بالنسبة إليه فلسفة أو أفكارًا مستوردة،

بل هي حقائق وأحكام شرعية، واجتهادات مضبوطة بمقاصد الشرع، تراعي الجانب الإنساني في التعامل دون المساس بالأحكام الشرعية المعلومة في معاملة غير المسلمين كحرمة الولاء لهم و حرمة تزويج المسلمة لغير المسلم، وهذا بخلاف توسع بعض المفكرين المعاصرين في مفهوم التعايش حتى جعلوه أصلًا تجاوزوا نصوص الشرع من أجله.

٣- ليس هناك تصادم بين مفهوم الولاء والبراء في الإسلام وبين مفهوم التعايش الحضاري في منهج الشيخ عبد العزيز بن باز، فالتعايش عنده لا يقتضي موالاة غير المسلمين، كما لا يقتضي -البراء من العقائد الباطلة- الاعتداء على حقوق أصحابها، فالاعتزاز بالإسلام والدعوة إليه حقٌّ مطلق قائم، ولا ينافي هذا التعامل مع الواقع وإيجاد أرضية مشتركة لتحصيل المصالح واستمرارية الحياة مع المجتمعات الأخرى غير المسلمة، تماما كما فعل النبي ﷺ مع اليهود في المدينة.

٤- مفهوم التعايش الحضاري في تقريرات الشيخ ابن باز لا يعني الذوبان في الحضارات الأخرى، وتقديم التنازلات في الدين، بل هو

إيجاد قواسم مشتركة للتفاهم وقضاء المصالح المشتركة مع احتفاظ كل طرف بما يراه حقٌّ، كل ذلك في حدود ما أباحه الشرع، تماما كما فعل النبي ﷺ حين صالح يهود خيبر، وباع واشترى ورهن من عند غير المسلمين، مع استمراره في دعوتهم إلى الحق.

٥- حارب الشيخ عبد العزيز بن باز الأفكار المتطرِّفة التي لا تؤمن بالحوار والتعايش الحضاري، وبيَّن بعدها عن روح الإسلام الذي يتَّسم بالوسطية والاعتدال، ففي وقته ظهرت جماعات غالية تبيح لنفسها الاعتداء على غير المسلمين والغدر بهم والاستيلاء على حقوقهم، وقف الشيخ بمقالاته وخطاباته بالمرصاد لهذا الفكر، وبيَّن وجوب القِسْط وحرمة الاعتداء عليهم مستدلًا بنصوص القرآن والسنَّة الآمرة بذلك.

٦- التعايش الحضاري في مفهوم الشيخ عبد العزيز بن باز، لا يقصد به (وحدة الأديان) والاعتراف بأصحيَّتها، فهذه دعوى تناقض دين الإسلام، بل المقصود التعايش مع أهل الأديان مع الاقرار ببطلانها،

والنصح لها فيما يعود عليها بالنفع في الدنيا والآخرة.

وفي **الأخير يوصي الباحث** بتتبُّع منهجية الشيخ عبد العزيز بن باز في معاملة غير المسلمين، و منهجيتِهِ في فتاويه المعلقة بالأقليات الإسلامية، واستخراج أهم الأسس التي بنى عليها الشيخ مواقفه واجتهاداته المعاصرة المتعلقة بالتعامل مع غير المسلمين، وذلك في دراسات أكاديمية جادَّة، تجمع شمل هذا الموضوع، الذي يستحقُّ البحث والدراسة.

وصلى الله عليى نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع

١ - **ابن باز في الدلم قاضيًا ومعلمًا**، عبدالعزيز ناصر بن راشد البراك، ط١، (د.ن) ١٤١٦هـ.

٢ - **الاختيارات الفقهية للشيخ ابن باز في العبادات والمعاملات**، خالد بن سعود العجمي، ط٥، الرياض، ١٤٣٠هـ.

٣- **إرشاد أولي الألباب إلى ما صحَّ من معاملة أهل الكتاب**، جمال بن محمد بن إسماعيل، ط١، دار المعراج، الرياض، ١٤١٣هـ.

٤ - **أصول الشيخ عبد العزيز بن باز في الرد على المخالفين**، فيصل بن قزار الجاسم، ط١، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٢٩هـ.

٥ - **الإنجاز في ترجمة الإمام عبدالعزيز بن باز** ، عبد الرحمن بن يوسف الرحمة، ط١، دار ابن الجوزي، الرياض ١٤٢٨هـ.

٦ - **التعامل مع غير المسلمين، أصول معالتهم واستعمالهم -دراسة فقهية-** أ.د. عبد الله بن إبراهيم الطريقي، ط١، دار الفضيلة، الرياض، ١٤٢٨هـ.

٧- **تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق:

سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ.

٨- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، دار هجر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٢هـ.

٩- **الجامع في فقه العلامة ابن باز**، أبو الفداء أحمد بن بدر الدين، ط١، المكتبة الإسلامية، القاهرة، ١٤٣١هـ.

١٠- **الجامع لأحكام القرآن**، أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ.

١١- **جهود سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز في تعزيز الأمن الفكري - دراسة للوسائل الوقائية-**، د. عبد الله بن دجين السهيلي، ط١، مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية، الرياض، ١٤٣٢هـ.

١٢- **حكم الصلح مع اليهود في ضوء الشريعة الإسلامية**، عبد العزيز بن باز، ط١، إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ١٤١٧هـ.

١٣- **الحكمة في دعوة المخالف عن الشيخ ابن باز**، محمود بن عبد

الهادي بن دسوقي آل علي، ط١، مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية، الرياض، ١٤٣٦هـ.

١٤- **الحوار في الإسلام**، د. ياسر الشمالي، ط١، مؤسسة روافد، الكويت، ١٤٣٤هـ.

١٥- **الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة**، خالد عبد الله القاسم، ط١، دار المسلم، الرياض، ١٤١٤ه.

١٦- **الحوار من أجل التعايش**، د.عبد العزيز بن عثمان التويجري، ط١، دار الشروق، القاهرة، ١٤١٩هـ.

١٧- **رحمة النبي الكريم ﷺ بالكفار**، خليل إبراهيم ملا خاطر العزامي، ط١، المدرسة المدينة، المدينة المنورة ١٤٢٨ه.

١٨- **شرح صحيح البخاري**، أبو الحسن علي بن خلف ابن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط٢، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٣هـ.

١٩- **فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء**، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، دار المؤيد، (د.ط) الرياض (د.ت).

٢٠- **فتاوى نور على الدرب**، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، اعتنى به:

أبو محمد عبد الله الطيار و أبو عبد الله محمد بن موسى الموسى، مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية. (د.ط) الرياض (د.ت).

٢١- **فتاوى نور على الدرب**، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، جمعها: الدكتور محمد بن سعد الشويعر، ط١، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ١٤٢٨ه.

٢٢- **الفروق (أنوار البروق في أنواء الفروق)**، أبو العباس شهاب الدين المالكي الشهير بالقرافي، (د.ط) عالم الكتب (د.ت).

٢٣- **مجلة البحوث الإسلامية**، الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء، العدد ٦، الرياض، ١٤٠٢هـ

٢٤- **مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز**، محمد بن سعد الشويعر، ط١، دار القاسم، الرياض، ١٤٢٠هـ.

٢٥- **معالم السنن**، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي، ط١، المطبعة العلمية، حلب، ١٣٥١هـ.

٢٦- **منهج الإمام عبد العزيز بن باز- رحمه الله- في الدعوة إلى الله تعالى**، محمد بن خالد البداح، رسالة دكتوراه، كلية الدعوة والإعلام، جامعة

الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٢٧هـ.

٢٧- **منهج سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز في الرد على المخالفين،** نايف بن ممدوح بن عبد العزيز آل سعود، ط٣، دار المودة، القاهرة، ١٤٢٩هـ.

٢٨- **الممتاز من رسائل الإمام ابن باز،** منصور الراشد، دار ابن الأثير، (د.ط) .(د.ت)

٢٩- **مواقف مضيئة من حياة الشيخ عبد العزيز بن باز،** حمود بن عبد الله المطر، ط١، دار الوطن، الرياض، ١٤٢٠هـ.

فهرس المحتويات